الحواس وأثرها في الترغيب والترهيب القرآني

الأستاذ الدكتور
حكمت عبيد الخفاجي
الباحث
محسن عبد العظيم هادي

المقدمة

فتعد الدراسات القرآنية من أشرف الدراسات العلمية وأهمها، لأنها توقفنا أمام الأسلوب القرآني المُعجِز، وكيفية تأثيره وتعامله في تربية النفوس تدريجياً، عبر أساليب مُتعددة ومن تلك الأساليب أسلوب الترغيب والترهيب الحسي، فكثيراً ما نجد القرآن الكريم يستعمل المحسوسات للترغيب والترهيب، ولا يمكن للنفس ان تتأثر بشيء من هذا القبيل، إلا من خلال ما ادركته بواسطة الحواس من قبل، وكما هو معلوم ان الحواس الانسانية هي أهم وأُولى أدوات المعرفة لدى الأنسان، لذا نجد ان القرآن الكريم قد أستعملها في أهم وأولى المعارف والعلوم ألا وهي العقيدة، وعملت العقيدة على إعمال العقل من خلال الترغيب والترهيب الحسي، وفتحت أمام الانسان الطريق لتوظيف ما أُتي من نعم أدراكية ليتدبر من خلالها، ويصل إلى معرفة الخالق العظيم، فكانت المعارف العقلية بلغة بسيطة خالية من التعقيد يفهمها عامة الناس وخاصتهم، من خلال عملية التعبير بظواهر الألفاظ بشكل محسوس، وتبقى الحقائق المعنوية وراء ستار تلك الظواهر فتتجلى حسب الأفهام ويدرك منها كل شخص بقدر عقله ومداركه.

لذا كان البحث بعنوان: (الحواس وأثرها في الترغيب والترهيب القرآني) ليُسلط الضوء على ما للحواس من دور في المعرفة عامة، ولاسيما معرفة الترغيب والترهيب الحسي الذي ذكرته آيات القرآن الكريم.

لذا اقتضت طبيعة البحث أن يتضمن مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فالمقدمة تُبين أهمية البحث والخطة التي سار عليها، والمبحث الأول خُصص لدراسة مدى تعلق

الانسان بالأشياء المحسوسة منذ القدم، فكان بعنوان: علاقةُ الإنسانِ بالمَحسُوسِ، والمبحث الثاني كان بعنوان: أهمية الحَواسِ بتزويد العقل بالمَعرفة، أما المبحث الثالث فأتسم بعنوان: دَورُ الحَواسِ فِي تَحصّيلِ المَعرِفَةِ، وما كان للبحث أن ينتهي دون خاتمة تتضمن أبر النتائج التي توصل إليها.

وقد كان البحث فيه شيء من الاختصار، فان وفقت فيه فهو من فضل الله تعالى وكرمه، وان قصّرت فهو من نفسي، وحسبي إني حاولت ولم أدخر ما بوسعي، وأرجو من الله تعالى ان يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

أهمية الحَواسِ بالمَعرفةِ الإنسانِيةِ

المطلب الأول

المعرفة في منظوري الفلسفة والاسلام

أولاً: المعرفة في منظور الفلسفة: تدور حول المعرفة الانسانية مناقشات فلسفية حادة تحتل مركزا رئيسيا في الفلسفة وخاصة الفلسفة الحديثة، فهي نقطة الانطلاق الفلسفي لإقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم، فما لم تحدد مصادر الفكر البشري ومقاييسه وقيمه لا يمكن القيام بأية دراسة مهما كان لونها، واحدى تلك المناقشات الضخمة هي المناقشة التي تتناول مصادر المعرفة ومنابعها الأساسية بالبحث والدرس، وتحاول أن تستكشف الركائز الأولية للكيان الفكري الجبار الذي تملكه البشرية فتجيب بذلك على الأسئلة: كيف نشأت المعرفة عند الانسان؟، وكيف تكونت حياته العقلية بكل ما تزخر به من أفكار ومفاهيم؟، وما هو المصدر الذي يمد الانسان بذلك السيل من الفكر والادراك ؟؟(١).

وتُعَّرف النظرية بأنها قَضيَّة تثبت ببرهان وفِي الفلسفة هي طَائِفَة من الآراء تفسر بهَا بعض الوقائع العلمية أَو الفنية(٢)، والمعرفة هي: (إدراك الشيء بتفكّر وتدبُّر لأثره، وهو أخص من العلم ويضاده الإنكار، ويقال: فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم

الله متعدياً إلى مفعول واحد، كما كانت معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر، وأصله من عَرَفْتُ أي: أصبت عَرْفَهُ. أي: رائحتَهُ)(٣)، فنظرية الْمعرفَة هي (الْبَحْث في المشكلات الْقَائمَة على العلاقة بَين الشَّخْص والموضوع أَو بَين الْعَارِف وَالْمَعْرُوف وَفِي وَسَائِل الْمعرفَة فطرية أَو مكتسبة)(٤).

وقد فصل الصدر(ت١٤٠٠هـ) في كتابه فلسفتنا، القول عن المصادر الأساسية لنظرية المعرفة، ونورد هنا إيجازاً لما فصل(٥): إن الأدراك ينقسم بصورة رئيسية على نوعين، أحدهما التصور وهو الادراك الساذج، كتصورنا لمعنى الحرارة أو النور، والآخر التصديق وهو الادراك المنطوي على حكم، كتصديقنا بأن الحرارة طاقة مستوردة من الشمس، والبحث في مصادر التصور التي تكون على قسمين: الأول المعاني التصورية البسيطة كمعاني الوجود والوحدة والحرارة والبياض، والقسم الآخر المعاني المركبة أي التصورات الناتجة عن الجمع بين تلك التصورات البسيطة، فقد نتصور (جبلا من تراب) ونتصور (قطعة من الذهب) ثم نركب بين هذين التصورين فيحصل بالتركيب تصور ثالث وهو (تصور جبل من الذهب) فهذا التصور المركب من التصورين البسيطين وهكذا ترجع التصورات المركبة إلى تصورية بسيطة.

فلابد من معرفة المصدر الحقيقي لمفردات هذه التصورات البسيطة في الادراك الانساني، وهذه المسألة لها تاريخ مهم في جميع أدوار الفلسفة اليونانية والاسلامية والأوروبية، وقد حصلت عبر تاريخها الفلسفي على عدة حلول تتخلص في النظريات الآتية(٦):

١- نظريات الاستذكار الأفلاطونية: وهي النظرية القائلة بأن الادراك عملية استذكار للمعلومات السابقة وقد ابتدع هذه النظرية أفلاطون وأقامها على فلسفته الخاصة عن المثل، وقدم النفس الانسانية، فكان يعتقد ان النفس الانسانية موجودة بصورة مستقلة عن البدن قبل وجوده.

٢- النظريات العقلية: وتتخلص هذه النظرية في الاعتقاد بوجود منبعين للتصورات: أحدهما الاحساس، والآخر الفطرة وهي لعدد من كبار فلاسفة أوروبا ك (ديكارت) و (كانت) وغيرهما.

٣- النظرية الحسية: تقوم على ان الاحساس هو الممون الوحيد للذهن البشري بالتصورات والمعاني، والقوة الذهنية تعكس الإحساسات المختلفة في الذهن، والمبشر الأول بهذه النظرية الحسية هو الفيلسوف الانكليزي(جون لوك) وانساق معها جملة من الفلاسفة إلى ابعد جدا كفلسفة (باركلي) و(دافيد هيوم).

٤- نظرية الانتزاع: وهي نظرية الفلاسفة الاسلاميين بصورة عامة، وتتلخص هذه النظرية في تقسيم التصورات الذهنية على قسمين: تصورات أولية، وتصورات ثانوية، فالتصورات الأولية هي الأساس التصوري للذهن البشري، وتتولد هذه التصورات من الاحساس بمحتوياتها بصورة مباشرة، فنحن نتصور الحرارة لأننا أدركناها باللمس، ونتصور اللون لأننا أدركناه بالبصر، ونتصور الحلاوة لأننا أدركناها بالذوق، ونتصور الرائحة لأننا أدركناها بالشم، وهكذا جميع المعاني التي ندركها بحواسنا فان الاحساس بكل واحد منها هو السبب في تصوره ووجود فكرة عنه في الذهن البشري، وتتشكل من هذه المعاني القاعدة الأولية للتصور وينشئ الذهن بناء على هذه القاعدة التصورات الثانوية، فيبدأ بذلك دور الابتكار والانشاء، وهو الذي نصطلح عليه هذه النظرية بلفظ (الانتزاع) فيولد الذهن مفاهيم جديدة من تلك المعاني الأولية، وهذه المعاني الجديدة خارجة عن طاقة الحس وان كانت مستنبطة ومستخرجة من المعاني التي يقدمها الحس إلى الذهن والفكر، وهذه النظرية تتسق مع البرهان والتجربة ويمكنها أن تفسر جميع المفردات التصورية تفسيرا متماسكا.

فيجب طرح جميع النظريات للتصور البشري والأخذ بنظرية الانتزاع القائمة على أن هناك عملية اشتراك ما بين التصورات الأولية المرتكزة عل، وما بين التصورات الثانوية التي تنشأ على المحسوس الأولي، مُنتجةً معاني جديدة ليست حسية بل هي مُنبثقة من المحسوس، وهذا ما يروم البحث بيانه، من أن المحسوس له الأهمية الكبرى في الأدراك.

ثانياً: المعرفة في المنظور الإسلامي: تميزت نظرية المعرفة في المنظور الإسلامي بمصادرها؛ ففي حين تقتصر بعض المدارس والاتجاهات على مصدرين رئيسين

هما: الحس والعقل، نجد أن نظرية المعرفة الإسلامية تتفق على كون الحس والعقل مصدرين رئيسيين وتضيف إليهما مصدراً آخر يتمثل بالوحي الذي يستقل بمصدريته للمعرفة في مجال الغيبيات، لأن أجهزة المعرفة المعهودة لدى الإنسان - الحواس والعقل - بطبيعتها قاصرة عن أدراك جميع العلوم، كالأمور الغيبية، وإن كان العقل مصدر من مصادر المعرفة، إلا أنه ليس مستقلا، بل يحتاج إلى توجيه وإرشاد ولا يهتدي العقل إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل، ومعلوم أن جميع الكائنات في الوجود هي اما تنتمي الى الحسيات أو الى الغيبيات، واذا كانت كذلك فهي لا تخرج من أن تكون على قسمين: الأول الكائنات التي يمكن إدراكها بالحواس وهي (عالم الشهادة)، والثاني الكائنات الخفية عن حواسنا وتلك هي (عالم الغيب)(٧).

فيستعين الاسلامُ لمعرفة الكون، وللوصول إلى الحقائق الدينيَّة بثلاثة أنواع من الاَدَوات أولها الحِسّ، وأهّم الحواسّ هما حاسّتا السمع والبصر، وثانيها العقل الّذي يكتشف الحقيقة في مجالٍ محدودٍ وخاصّ، منطلقاً في ذلك من أُصول ومبادئ خاصّة، وثالثا الوحي الّذي هو وسيلة لارتباط ثُلّة ممتازة ومميّزة من البشر بعالم الغيب، وفي إمكان البشريّة جميعاً أن يستفيدوا من الطّريقين الاَوَّلين في معرفة الكون وفي فهم الشّريعة كذلك، بينما الطريق الثالث خاصّ بمن شملتهُ العنايةُ الالهيّة، وأبرز نموذج لهذا النمط من النّاس هم رسُلُ الله وأنبياؤه الكرام (٨).

ولهذا كانت ضرورة المصدر الثالث (الوحي)، وبهذه المصادر الثلاثة تتكامل المعرفة فبالحواس والعقل يُدرك عالم الشهادة، وبطريق الوحي يُدرك عالم الغيب، وتكون أَنْوَاعُ الْمُدْرِكَاتِ وَعَنَاصِرِ الْكَوْنِ وَأَحْوَالِهَا كالآتي(٩):

تَكُونُ مُدْرِكَاتُ الْبَشَرِ الْحِسِّيَّةَ وَالْعَقْلِيَّةَ لَا تَتَعَلَّقُ فِي حَالِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِكُلِّ مَا فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ، بَلْ هُنَاكَ حُجَجٌ مِنَ الْوَحْيِ وَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ تَدُلُّ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ أَمَّا الْوَحْيُ فَأَنَّ الْعَالَمَ قِسْمَانِ: عَالَمُ الْغَيْبِ، وَعَالَمُ الشَّهَادَةِ، وَأَمَّا الْعَقْلُ فَمِنْ أَحْكَامِهِ أَنَّ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ لَا يَقْتَضِي عَدَمَ وُجُودِهِ، وَأَنَّ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَوْنِ مَوْجُودَاتٌ كَثِيرَةٌ لَا نُدْرِكُهَا، وَلَا تَشْعُرُ بِهَا حَوَاسُّنَا وَمَشَاعِرُنَا، وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى أَنَّ الْوُجُودَ الْمُمْكِنَ يَدُلُّ عَلَى الْوُجُودِ الْوَاجِبِ الَّذِي

لَمْ يَدْرِكْ كُنْهَهُ عُقُولُنَا، بَلْ دَلَّ عَلَى وُجُودِ آخَرَ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ، وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ عُلَمَاءُ الْكَوْنِ بِالْأَثِيرِ، وَأَمَّا الْعِلْمُ - عِلْمُ التَّجْرِبَةِ وَالْبَحْثُ الْعَمَلِيِّ فِي الْوُجُودِ - فَقَدْ أَثْبَتَ وُجُودَ أَحْيَاءٍ كَثِيرَةَ الْأَنْوَاعِ ذَاتِ تَأْثِيرٍ عَظِيمٍ فِي حَيَاةِ الْأَحْيَاءِ مِنْ نَفْعٍ وَضَرٍّ تُرَى بِالْمَرَايَا الْمُكَبِّرَةِ دُونَ الْبَصَرِ الْمُجَرَّدِ، وَهِيَ لَا تُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا بِالْعَقْلِ بَادِئَ بَدْءٍ، وَإِنَّمَا عُرِفَتْ بِأَعْمَالِ التَّحْلِيلِ وَالتَّرْكِيبِ وَآلَاتِهَا، وَهِيَ كَالْعَنَاصِرِ الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنْهَا الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ.

فالوحي الإلهي هو خيرة أنواع مصادر المعرفة الإسلامية إذ تكون العلوم من الله تعالى، والحواس وأهمها السمع والبصر، وهي وسيلة لنقل المعرفة والعلم، الى العقل الفطري الذي خلقه الله في الإنسان وميزه به عن باقي خلقه، ويكون عمله بمعاضدة الحواس له، فكانت أجهزة المعرفة ـ الحس والعقل ـ تمثل (مبادئ العلم الذي أُنعِمَ بها على الإنسان فمبدأ التصور هو الحس، والعمدة فيه السمع والبصر وإن كان هناك غيرهما من اللمس والذوق والشم، ومبدأ الفكر هو الفؤاد)(١٠).

ومن هنا اتضحت علاقة العقل والحواس بالمعرفة الانسانية، فالعقل هو مايُميز الانسان عن غيره من المخلوقات، وبه صار التكليف، اذ لا تكليف على من لا عقل له، والعقل هو الذي يرشد صاحبه الى الخير وينهاه عن الشر، بالاعتماد على خارطة طريق ـ ان صح التعبير- تتمثل بالشرائع السماوية، اذ لا يمكن الاعتماد على العقل وحده ما لم يكن هناك وحي ومد غيبي متصلاً بالسماء، لأنه محاط بصراع الغرائز والشهوات، فتارة هو الغالب واخرى هو المغلوب.

وكانت دعوة القرآن الكريم للعلم والمعرفة صريحة منذ بواكير نزوله قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (١١)، قد ذكر القرآن الكريم: (عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: الْإِيجَادُ وَالْإِحْيَاءُ وَالْإِقْدَارُ وَالرِّزْقُ كَرَمٌ وَرُبُوبِيَّةٌ، أَمَّا الْأَكْرَمُ هُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ الْعِلْمَ لِأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ النِّهَايَةُ فِي الشَّرَفِ)(١٢)، ولم يحث على العلم فحسب، بل يأمر بطلب زيادة العلم قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤ ﴾ (١٣)، وبخصوص هذه الآية (قيل: ما أمر الله رسوله ' بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم)(١٤).

ومن خلال آيات القرآن الكريم نجد (أن أساس الإسلام أُقيم منذ البداية على أساس العلم والقلم... ولذلك استطاع قوم متخلفون ان يتقدموا في العلم والمعرفة حتى يتأهلوا لتصدير علومهم إلى العالم! إن علم المسلمين ومعارفهم هو الذي مزق ظلام القرون الوسطى في أوربا وأدخلها عصر الحضارة، وهذا ما يعترف به علماء أوربا انفسهم فيما كتبوه في حقل تاريخ الحضارة الإسلامية وفي تراث الإسلام)(١٥).

وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين الإمام علي×: ((اَيُّهَا النّاسُ اعْلَمُوا أنَّ كَمَالَ الدِّيْنِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِه، ألا وَإنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أوْجَبَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ إنَّ الْمَالَ مَقْسُومٌ مَضْمُونٌ لَكُمْ قَدْ قَسَّمَهُ عَادِلٌ بَيْنَكُمْ وَضَمِنَهُ وَسَيَفِي لَكُمْ وَالْعِلْمُ مَخْزُونٌ عِنْدَ أَهْلِه وَقَدْ اُمِرْتُمْ بِطَلَبِه مِنْ أَهْلِه فَاطْلُبُوهُ...))(١٦).

فأعاد الإسلام صياغة شخصية الإنسان، وفجر طاقاته الإبداعية الكامنة من أجل العلم والعمل لبناء حضارة إنسانية متوازنة، وكانت نظرية المعرفة الإسلامية بشمولها وتكاملها، وسيلته لإحداث التغيير الجذري في كيان الإنسان وبنية المجتمع، تلك النظرية التي صرح من خلالها كتاب الله المُعجز بحقيقة المصادر الحسية للمعرفة ولاكتشاف العقل وتشخيصه للأسس الأولى للمعرفة، قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (١٧)، تشير الآية المباركة الى أن الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طريق العلم بالمدركات، وجعل لكم قلوبا تفقهون بها الاشياء، لأنها محل المعارف، لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه على نعمه (١٨).

فهذه الآية هي الاساس العلمي لنظرية المعرفة الاسلامية، والمؤيدة للمصادر الحسية للمعرفة الاولية، يرى الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ) في ذيل تفسيره لهذه الآية، إن الإنسان خُلق في مبدأ الفطرة خالياً عن معرفة الأشياء ثم قال وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، والمعنى: إن النفس الإنسانية لما كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله، فالله تعالى أعطاه هذه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم، فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول هو أنه تعالى أعطى هذه الحواس، ليصير حصول هذه الحواس سبباً لانتقال نفوسكم من الجهل إلى العلم(١٩).

لذا (تعتبر نعمة أجهزة تحصيل العلم من أفضل النعم التي وهبها اللّه للإنسان، فلا يقتصر دور العين والأذن (مثلا) على النظر إلى آثار اللّه في خلقه، والإستماع إلى أحاديث أنبياء اللّه وأوليائه، وتفهم ذلك وتدركه بالتحليل والإستنتاج، بل إنّ كل خطوة نحو التكامل والتقدم مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بهذه الوسائل)(٢٠)، ومن خلال تلك الحواس تصل المعارف الأولى للإنسان، والمعارف الحسية مما تبناه الفكر الإسلامي في أصول المعرفة (فقد ظهر من هذا ان العلوم الكسبية فرع على العلوم الضرورية الكلية، والعلوم الضرورية الكلية فرع على المحسوسات الجزئية، فالمحسوسات اذن هي اصول الاعتقادات، ولا يصح الفرع الا بعد صحة اصله، فالطعن في الاصل طعن في الفرع...)(٢١).

فالفكر الإسلامي انتهى الى ان الحس هو مصدر المعرفة الاولى، الذي يتم عن طريق الحواس والكمال المعرفي عند الإنسان يكون معتمداً على المحسوسات التي يتناولها العقل فيدركها فتمثل أصل الاعتقادات.

المطلب الثاني

علاقة الحواس بالعقل في عملية الأدراك

أوضح القرآن الكريم أن هناك اتصالاً وثيقاً بين الحواس والعقل، من خلال سبع آيات(٢٢)، ورد فيها ذكر الحواس مع فعل العقل، وقد بَيّن هذه الصلة وفصلها، فالحواس الخمس تمد العقل بالمعلومات التي تمثل البيانات، والعقل يترجم تلك البيانات الى واقع سلوكي في الخارج، وهذه المعلومات المتحصلة من الحواس، لا بد من صحتها وسلامتها لأنها تُمثل المقدمات للعملية المعرفية، وصحتها وسلامتها تؤدي إلى صحة وسلامة النتائج.

وإن إعطاء الحواس مقدم على إعطاء العقل لأن الإنسان خلق في مبدأ الفطرة خالياً عن معرفة الأشياء، إلا أنه أعطاه آلات تعينه على تحصيل تلك المعارف، وهي الحواس الظاهرة والباطنة، فإذا أحس بالمحسوسات تنبه لمشاركات بينها ومباينات،

ينتزع منها عقائد صادقة أولية، وهذه العلوم الأولية هي آلة العقل لأن بتركيباتها يمكن التوصل إلى استعلام المجهولات النظرية، فثبت أن الحس مقدم في الوجود على العقل، ولذلك قيل: من فقد حساً فقد علماً(٢٣).

وقد ذكر القرآن الكريم الحواس مع العقل، كونهما يُكمل أحدهما عمل الآخر في تحصيل المعرفة، فلا يمكن الاستغناء بواحد عن الآخر، ليكونا- العقل والحواس - مسؤولان عما يجلبان من علوم تصل بالإنسان الى اتخاذ قراره النهائي في العقيدة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (٢٤)، والمعنى: لا تتبع ما ليس لك به علم، لأن الله سبحانه سيسأل السمع هل كان ما سمعه معلوما مقطوعا به؟ وعن البصر هل كان ما رآه ظاهرا بينا؟ وعن الفؤاد هل كان ما فكره وقضى به يقينيا لا شك فيه؟ وهذه هي الوسائل التي يستعملها الإنسان لتحصيل العلم، وإنما هي نعم آتاها الله الإنسان ليشخص بها الحق، ويحصل بها على الواقع فيعتقد به و يبني عليه عمله و سيسأل عن كل منها هل أدرك ما استعمل فيه إدراكا علميا؟ و هل اتبع الإنسان ما حصلته تلك الوسيلة من العلم؟(٢٥)

فيتحصل العلم في المنظور القرآني، عبر ثلاث وسائل رئيسية؛ السمع والبصر، وهما لأدراك العلم الحسي والفؤاد لأدراك العلم العقلي، والقرآن الكريم يتناول الفؤاد على انه جهاز الادراك الفكري، (وأكتفى القرآن بذكر السمع والبصر كأداتين من أدوات الإحساس، وذلك أولاً لأهميتهما القصوى في عملية الإدراك الحسي؛ وثانياً لأن في ذكرهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي)(٢٦) .

ونلحظ دور الحواس الخمس بأنها ذات اتصال مباشر بالعقل والواقع؛ لأنها هي عين ملكة الإدراك التي لا غنى للعقل عنها، إذ إن العقل من دون الاتصال بالواقع يستحيل عليه التطور، فالعقل يتصل بالواقع اتصالاً مباشراً بطريق الأعضاء الحسية لذلك قيل (القوة العاقلة كَالْأَمِيرِ، وَالْحَاسَّةُ كَالْخَادِمِ وَالْأَمِيرُ)(٢٧).

فوظيفة الحواس الظاهرة هي أدراك العالم الخارجي للإنسان، وهي الواسطة في تحصيل علومه، وهذه الحواس قد تكون مشتركة بين الإنسان والحيوان، إلا أن الله عز وجل قد خص الإنسان بوظيفة أدراكية أخرى، يتميز بها عن الحيوان، ألا وهي العقل ومن المعلوم (أنَّ الْإِنْسَانَ وَسَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ مُتَشَارِكَةٌ فِي قُوَى الطَّبِيعَةِ الْغَاذِيَةِ وَالنَّامِيَةِ وَالْمُوَلِّدَةِ، وَمُتَشَارِكَةٌ أَيْضًا فِي مَنَافِعِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَفِي أَحْوَالِ التَّخَيُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّذَكُّرِ، وَإِنَّمَا حَصَلَ الِامْتِيَازُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَهْدِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرِ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ)(٢٨)، فبالعقل يستطيع الإنسان أن يعلو بإدراكه عما يُنقل له بواسطة الحواس، وعن الأشياء الخارجة عن نطاق الحواس

وبعد تحصيل البيانات عن طريق الحواس التي تمثل (مفتاح الإدراك لعالم المادّة، يأتي العقل الذي ينتزع الأفكار ممّا تُموّنه به الحواسّ، ويجتاز الطبيعة إلى ما وراءها، ومهمّته النقد والإستنتاج والترتيب والتعميم وتحليل محصّلة حاسّتي البصر والسمع وسواهما)(٢٩)، فيفكر الإنسان في المعاني المجردة كالخير والشر، والحق والباطل، والفضيلة والرذيلة، وبالعقل يستطيع ان يستدل على المبادئ العامة من الملاحظات والتجارب، وأن يستدل على بديع خلق الله تعالى لجميع المخلوقات، فالحواس والعقل وسيلتان يستعين بهما الإنسان في الأدراك المعرفي .

وتكمن أهمية الحواس للعقل كونها احدى طرق المعرفة، إلا أنها لم تكن وحدها مصدراً مستقلاً بذاته، بل يُكمل عملها العقل، وفي حال تعطيلها يؤدي إلى تعطيل العقل أخيراً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (٣٠)، وَالْقُلُوبُ جَمْعُ قَلْبٍ، وَهُوَ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى الْمُضْغَةِ الصَّنَوْبَرِيَّةِ الشَّكْلِ، الَّتِي فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنْ جَسَدِ الْإِنْسَانِ، إِذَا كَانَ مَوْضُوعُ الْكَلَامِ جَسَدَ الْإِنْسَانِ، وَيُطْلَقُ عِنْدَ الْكَلَامِ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَإِدْرَاكِهِ وَعِلْمِهِ وَشُعُورِهِ وَتَأْثِيرِ ذَلِكَ فِي أَعْمَالِهِ، عَلَى الصِّفَةِ النَّفْسِيَّةِ وَاللَّطِيفَةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ

الْحُكْمِ فِي أَنْوَاعِ الْمُدْرَكَاتِ، وَالشُّعُورُ الْوِجْدَانِيُّ لِلْمُؤْلِمَاتِ وَالْمُلَائِمَاتِ، أَعْنِي أَنَّهُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْعَقْلِ، وَبِمَعْنَى الْوِجْدَانِ الرُّوحِيِّ، الَّذِي يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي عُرْفِ هَذَا الْعَصْرِ بِالضَّمِيرِ، وَهُوَ تَعْبِيرٌ صَحِيحٌ، وَاشْتِقَاقُ الْعَقْلِ مِنْ عَقْلِ الْبَعِيرِ لِمَنْعِهِ مِنَ السَّيْرِ، وَفِي مَعْنَى الْقَلْبِ اللُّبُّ الَّذِي هُوَ جَوْهَرُ الشَّيْءِ وَيَكْثُرُ فِي التَّنْزِيلِ، وَمِنْهُ ما جاء فِي سُورَةِ طه النُّهَى (٣١)؛ بمعنى النُّهْيَةُ وَجَمْعُهَا نُهًى(٣٢).

وقد بينت بعض الدراسات(٣٣)، الى أن هناك ما يؤثر في صحة عمل الحواس أو بالعكس، وهو تأثير الدوافع والقيم في الادراك الحسي، وقد بينت الدراسات التجريبية الحديثة نتائج ذلك، وكان القرآن الكريم قد ذكر ذلك من قبل، فذكر أن للإيمان أثراً في عمل الحواس وأدراكها، فيجعل المؤمنين في حالة تهيؤ وانتباه الى استماع القرآن فيدركونها ادراكاً واعياً، بينما كانت هذه الآيات نفسها لا تحدث لدى المشركين التأثير نفسه.

فالإيمان أو عدمه له دور في إعمال الحواس كما أراد لها الله سبحانه أو تعطيلها، التي تؤدي بدورها الى إعمال العقل أو تعطيله، فالعقل الذي لا يستجيب لما تورده الحواس من خير، عندها يودي بصاحبه الى الضلال، قال تعالى:﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٣٤)، فآذان الكافرين تسمع ولكنها لا تعقل، لأنها مقطوعة الاتصال بالعقل الذي يؤدي الى الادراك، فكأنها معطلة ولا تؤدي وظيفتها الحقيقية، فهم لم يستخدموا حواسهم لطلب العلم والمعرفة الايمانية، فهم و الصم والبكم والاموات سواء، ولا يسمع ويعقل من الناس الا المؤمنين، ومن الآيات التي ذكر فيها القرآن الكريم أن آياته تُؤثر بحواس المؤمنين دون الكافرين قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣٥)، وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣٦)، يذكر القرآن الكريم أن (أجهزة استقبال الحقائق معطوبة عند هؤلاء، العين التي يرى المتقون فيها آيات الله، والاذن التي يسمعون بها نداء الحق، والقلب الذي يدركون به الحقائق، كلها قد تعطلت وتوقفت عن العمل لدى الكافرين، هؤلاء لهم عيون وآذان وعقول، لكنهم يفتقدون قدرة " الرؤية " و " الإدراك " و " السمع " لأن انغماسهم في الانحراف وعنادهم ولجاجهم كلها عناصر تشكل حجابا أمام أجهزة المعرفة)(٣٧).

وقد وصف القرآن الكريم الإنسان في حال عدم توظيف السمع والبصر والعقل، لما خُلقت من أجله، والتوقف عند مراحلها الأولية التي لا تصل إلى الإدراك والاستجابة، فقد وصفهم بالأنعام بل أضل سبيلاً، ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣٨)، ففي الآية الكريمة (بيان لحالهم فإنهم فقدوا ما يتميز به الإنسان من سائر الحيوان، وهو تمييز الخير والشر والنافع والضار بالنسبة إلى الحياة الإنسانية السعيدة من طريق السمع والبصر والفؤاد)(٣٩)، والسبب هو أنهم لم يُفعلوا دور الحواس والعقل معاً، وان (هؤلاء المطبوع على قلوبهم وأعينهم وآذانهم فالسعادة سعادتهم وهم مجهزون بما يوصلهم إليها ويدلهم عليها من السمع والبصر والفؤاد لكنهم أفسدوها وضيعوا أعمالها، ونزلوها منزلة السمع والبصر والقلب التي في الأنعام، واستعملوها فيما تستعملها فيه الانعام، وهو التمتع من لذائذ البطن والفرج فهم أكثر أو اشد ضلالاً من الأنعام، واليهم يعود الذم)(٤٠).

ويصفهم القرآن الكريم في آية أخرى بأنهم شر الدواب؛ لعدم استثمار أسماعهم في الوصول الى الحق، ولم تتعدى الموعظة حواسهم فهم لا يعقلون، (فَقَدْ بَيَّنَ بِضَرْبٍ مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ عَدَمَ انْتِفَاعِهِمْ بِمَوَاهِبِ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ الَّتِي هِيَ آلَاتُ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ، وَطُرُقُ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ)(٤١)، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا

﴿ يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٤٢)، (وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق، ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر، كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان)(٤٣)، وكان تشبيههم بالدواب لأن (الدواب ضعيفة الإدراك، فإذا كانت صماء كانت مثلاً في انتفاء الإدراك، وإذا كانت مع ذلك بكماً انعدم منها ما انعدم منها ما يعرف به صاحبها ما بها، فانضم عدم الإفهام إلى عدم الفهم)(٤٤).

ونجد أن الاستماع الى آيات القرآن الكريم بقلب مُتهيء للاستماع، ينتج عنه التأثير بالفطرة السليمة؛ ومن ثم الاعتقاد الحق؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (٤٥)، ولم يكن تأثير الاستماع لكلام الله تعالى مقصوراً على البشر فقط، بل هو يُؤثر في الجن كذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ (٤٦)، ولتأثير القرآن الكريم المباشر على سماع بعض الأفراد، فقد(أَخْبَرَ عَنْ أَعْدَائِهِ أَنَّهُمْ هَجَرُوا السَّمَاعَ وَنَهَوْا عَنْهُ)(٤٧)، قَالَ تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٤٨)، فمن كان يُريد الهداية وطالباً لها ومستخدماً أدوات الهداية على الوجه الصحيح، يُوفق الى استماع آيات القرآن الكريم ويتدبر فيها فيهتدي.

عملية الأدراك الحسي

خلق الله سبحانه المخلوقات في غاية الدقة، بشتى أشكالها وألوانها وجعلها مختلفة في مستوياتها الإدراكية، فمنها من لا يتعدى ادراكها إشباع رغبات فطرية محدودة كالحيوان، ومنها غير ذلك كالإنسان الذي ميزه بالعقل والحواس معاً، اذ حباه الله سبحانه وتعالى وكرمه وجعل فيه من الطاقات التي تأهله للتفكر والتدبر، فجعل له الحواس وحمّله وظيفة الرقي من خلالها ليزداد علماً ومعرفة، من خلال أدوات البحث بعد أن أوضح له المنهج الذي يسير عليه.

بطبيعة الحال يولد الإنسان وهو لا يملك من الكمال شيء، بل تبدأ معارفه الحسيّة ـ وهي أوّل المعارف ـ تظهر من خلال تجاربه مع الواقع الخارجي، وإن لم تكن هي المعارف الكماليّة للإنسان كإنسان ولكن هذه المعارف الحسيّة تُعد الموجود الأوّل للمعرفة، يعني أنها تشكّل المعرفة الإنسانيّة في بداياتها ثمّ تترقى إلى المعرفة العقليّة اذ (أن اللّه خلق النفس الإنسانية في مبدئ فطرتها خالية من جميع العلوم بالضرورة، قابلة لها بالضرورة، وذلك مشاهد في حال الاطفال، ثم ان اللّه تعالى خلق للنفس آلات بها يحصل الادراك، وهي القوى الحساسة، فيحس الطفل في اول ولادته بحس ولمس ما يدركه من المعلومات، ويميز بواسطة الادراك البصري، على سبيل التدريج بين ابويه وغيرهما وكذلك يتدرج في الطعوم وباقي المحسوسات الى ادراك ما يتعلق بتلك الآلات) (٤٩).

وعملية الادراك الفسلجية تتم باشتراك الحواس مع الدماغ، من خلال ما (تتأثر أعضاء الحس بالتنبيهات الحسية التي تقع عليها من المحسوسات المختلفة، فتنطلق منها نبضات عصبية تمر خلال الأعصاب حتى تصل الى مراكز الاحساس بالمخ حيث يحدث الادراك الحسي)(٥٠)، فالأدراك الحسي يمثل الأداة التي تُوصل الى العلم، وإن (الْعِلْمَ وَالْإِدْرَاكَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلرُّوحِ، وَإِنَّ الْحَوَاسَّ وَالدِّمَاغَ آلَاتٌ حِسِّيَّةٌ لِلْعِلْمِ بِبَعْضِ الْحِسِّيَّاتِ بِحَسَبِ سُنَنِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)(٥١).

ويرى القدماء والمتأخرون أن الإدراك الحسي الخارجي لدى الإنسان له ثلاث مراحل، وجميعها مُرتكزة على الحواس وهي بالترتيب الآتي(٥٢):

١- مرحلة الحس: وهي عبارة عن صور الأشياء التي تنعكس في الذهن في حالة المواجهة أو المقابلة أو الاتصال المباشر للذهن بالخارج، وذلك باستعماله حاسة من الحواس الخمس (أو أكثر)، فعندما يصافح إذن الإنسان صوت شخص يتكلم، فهذه الحالة في وقت صدورها نطلق عليها اسم السمع وهكذا بقيت عمليات الحواس.

٢- مرحلة الخيال: وبعد أن تنمحي الصورة الحسية فإنها تُخلف أثراً في الذهن، وتظهر صورة أخرى في قوة أخرى، وهي التي تُسمى بالخيال أو الحافظة، وهذه

الصورة الخيالية تبقى على حالها ويستطيع الإنسان أن يستحضرها في أي وقت يشاء، وهي تشبه الصورة المحسوسة مع فروق؛ أولاً: إن الصورة الخيالية ليس لها وضوح الصورة الحسية، وثانياً يُحَسّ دائماً بالصورة الحسية أنها بوضع خاص وفي جهة معينة وفي مكان محدد، أما الصورة الخيالية تكون بأوضاع مختلفة، وثالثاً: الصورة الحسية لا بد أن تتصل بقوى الحواس في الخارج وبمجرد زوال هذا الاتصال تزول الصورة معه أيضاً، أما الصورة الخيالية فهي ليست بحاجة إلى الخارج، فلا يستطيع الإنسان عادة أن ينظر إلى وجه إنسان غير حاضر أو يسمع صوته ليس موجوداً قربه، ولكنه يستطيع أن يتخيل هذه جميعاً ويتصورها في أي وقت يشاء.

٣- مرحلة التعقل: إن الإدراك الخيالي جزئي أي أنه لا يمكن أن ينطبق على أكثر من فرد واحد، ولكن ذهن الإنسان قادر بعد إدراك عدة صور جزئية على صياغة معنى كلي يمكن انطباقه على أفراد كثيرة، فهو بعد أن يدرك أفراد كثيرة يلاحظ في هذه الأفراد صفات مختصة بكل فرد من الأفراد ولكنه يلاحظ أيضاً صفات مشتركة بينها، أي أنه يلاحظ شيئاً في فرد ثم يلاحظه بنفسه في فرد آخر وثالث ورابع و.... ورؤية هذا الشيء في أفراد متعددين تهيئ الذهن ليكوّن من ذلك الشيء صورة كلية يمكن انطباقها على كثيرين، وهذا اللون من التصور يسمى بالتعقل أو التصور الكلي.

ويتضح مما سبق ان هناك رابطة حقيقية بين الصورة المحسوسة والصورة المتخيلة وبين الصورة المتخيلة والتصور الكلي(العقلي)، وإن وجود المفهوم الكلي متوقف على تحقق التصور الخيالي، والأخير متوقف على تحقق الصورة الحسية، وكل من هذه الثلاثة يأتي متسلسلاً.

فنجد أن كل المعلومات والمفاهيم التصورية تنتهي إلى الحواس بهذا المعنى وهو أن كل مفهوم تصوري نفرضه فهو أما أن يكون محسوساً بصورة مباشرة وإما أن يكون محسوساً قد مسّته يد التغيير فاكتسب خاصية وجودية جديدة، مثل حرارة الشخص المحسوس فإنها صورة محسوسة تتصف بالتشخص والتغير، والصورة

الخيالية لها تتمتع بماهية الحرارة والتشخص ولكنها ثابتة من جهة كونها متخيلة، أما مفهومها الكلي فليس له إلا ماهية الحرارة وليس فيه تشخص ولا تغير(٥٣)، ويجدر بالإشارة الى وجود (نوع آخر من الأدراك الحسي غير العادي، وهو ما يسميه علماء النفس بالأدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس مثل؛ الاستشفاف وهو رؤية الأشياء أو الأحداث البعيدة الخارجة عن مجال حاسة الأبصار؛ والتخاطر وهو إدراك خواطر وأفكار شخص آخر يكون ايضاً في الغالب في مكان بعيد؛ والاستهتاف وهو سماع نداء أو حديث من مكان بعيد خارج عن مجال حاسة السمع)(٥٤).

وهذا النوع من الادراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس لا يلاحظ عند جميع الناس الاعتياديين، ولكنه (يحدث فقط لبعض الاشخاص الذين يتمتعون باستعداد خاص)(٥٥)، وقد ذكر القرآن الكريم هذا النوع من الادراك الحسي غير العادي، الذي حصل مع النبي يعقوب ×، من خلال حاسة الشم، حينما أستطاع أن يشم رائحة ولده يوسف ×،عندما تحركت القافلة التي تحمل قميصه من أرض مصر بعيداً عن المكان الذي يوجد هو فيه بمسيرة أيام، قال تعالى:﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (٥٦)، كما ذكر القرآن الكريم معاجز عن نبي الله عيسى ×، من خلال حاسة البصر، وإخباره لقومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٥٧)، وما هذه الحوادث إلا إشارة الى الادراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس(٥٨)، ولعل سماع نبي الله سليمان × لكلام النملة التي وردت قصتها في سورة النمل(٥٩)، هي من قبيل الادراك الحسي الخارق للعادة المتمثل بحاسة السمع.

المبحث الثاني
العلاقةُ بين حسية الإنسانِ وأسلوب الترغيب والترهيب
المطلب الأول
علاقة الانسان بالمحسوس

من المعلوم ان الإنسان منذ الخلق الأول لأبي البشر آدم × هو مُكونٌ من جسد وروح، وإن هاتين الجنبتين تكونان من جنسين مختلفين تماماً، فكان التنازع فيما بينهما، ومن الناس من يتغلب لديهم الجانب البدني فتسيطر عليهم المادة، ويتخيلون أن الكمالات لا تتحقق إلا بإشباع الشهوات والغرائز البدنية، ومنهم من يتغلب الجانب الروحي لديهم فيوغلون في الرياضات الروحية ويُميتون حاجة أبدانهم، فيرون أن قمة السعادات في ارتقاء الارواح مجانبتها للمادة.

لذلك كان بعضهم يتصفون بأنهم (عَبِيدُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النَّاسِ فَهُمْ يُسْرِفُونَ فِي كُلِّ ذَلِكَ إِسْرَافًا يَتَوَلَّدُ مِنْهُ أَمْرَاضٌ كَثِيرَةٌ، يَقِلُّ فِيهِمْ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهَا كُلِّهَا، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَاهِدُ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ جِهَادًا يُفَرِّطُ فِيهِ بِحُقُوقِ الْبَدَنِ فَلَا يُعْطِيهِ الْغِذَاءَ الْكَافِيَ وَيُقَصِّرُ فِي حُقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ، أَوْ يَقْطَعُ عَلَى نَفْسِهِ طَرِيقَهَا بِالرَّهْبَانِيَّةِ، فَيَجْنِي عَلَى شَخْصِهِ وَعَلَى نَوْعِهِ بِالتَّفْرِيطِ كَمَا يَجْنِي عَلَيْهِمَا عَبِيدُ اللَّذَّاتِ بِالْإِفْرَاطِ)(٦٠)، فكان الناس بين الأفراط والتفريط، وكثيراً ما نجد أن الأغلب الأعم هم اتباع القسم الأول، الذين سيّطر عليهم الجانب الحسي أكثر من الجانب الروحي المتمثل بالعقل، ومعلوم أن (الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ وَالدِّينِ فَلَيْسَ إِلَّا الْعَقْلَ وَاسْتِيلَاءُ الْقُوَّةِ الْحِسِّيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ عَلَى الْخَلْقِ أَكْثَرُ مِنَ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فِيهِمْ، فَلِهَذَا السَّبَبِ وَقَعَتِ الْقِلَّةُ فِي جَانِبِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْكَثْرَةُ فِي جَانِبِ أَهْلِ الشَّرِّ)(٦١)، لذلك كانت رسالات الانبياء والمرسلين، قد واجهت صعوبات لإثبات نبواتهم ودعواتهم، والتي بدورها لا تمت للأمور الحسية بصلة، كونها تمثل الغيب الذي لا يخضع لمقاييس المادة، فكان لا يُعتقد هناك شيء غير ما يُدرك بالحواس مما أدى الى انكارهم رسالات الانبياء، قال تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٦٢).

وكان كل اهتمام تلك المجتمعات، ان لا يصدقون الدعوات ما لم تخضع لمقايسهم الحسية، فهم يطلبون ما يثبت ادعاء الانبياء وذلك عن طريق المعجزة، فكانت (المعجزات التي أتى بها الأنبياء ^ ضربان: حسي وعقلي، فالحسي ما يدرك بالبصر(بالحس)، كناقة صالح؛ وطوفان نوح؛ ونار إبراهيم؛ وعصى موسى ^ والعقلي ما يدرك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً؛ والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلم، فأما الحسي فيشترك في إدراكه العامة والخاصة، وهو أوقع عند طبقات العامة، وأخذ بمجامع قلوبهم، وأسرع لإدراكهم... وأما العقلي فيختص بإدراكه كمَلة الخواص من ذوي العقول الراجحة، والإفهام الثاقبة، والروية المتناهية)(٦٣)، ومن المعلوم أن معاجز الانبياء الذين سبقوا النبي الأكرم ^، كانت حسية، الا القرآن الكريم فهو معجزة حسية عقلية.

وقد يكون الانسان محقاً في اقتصاره على ما تدركه حواسه، الا أنه بعد أن يستجيب الانبياء لطلبه ويُثبتون صدق دعواهم الغيبي بالمعجزة الحسية القاطعة - حسب ما طُلب منهم- فلابد أن يكون الانسان على أعلى مراتب اليقين والتصديق، ولكن نجده يتمادى بالعُلقة الحسية حتى إنه يُريد ان يكون لله جل أسمه وعلا شأنه، وجوداً حسياً، فهو قد يؤمن بالله وبصدق النبي، ولكن لم يثبت لديه يقيناً قاطعاً، ما لم يتحقق الامر الحسي وهو رؤية الله البصرية، وهذا (ما عاناه الأنبياء من مشاكل كبرى على طريق دعوتهم، كان قومهم يطلبون منهم معاجز خاصة، وكان العناد يبلغ ببعض الأقوام حداً يطلبون فيه أن يروا الله جهرة، شرطاً لإيمانهم)(٦٤)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (٦٥)، (وإنما وقعوا فيما وقعوا من جهة استقلالهم في الحكم والقضاء فيما لهم ذلك، وفيما ليس لهم ذلك فحكموا بالمحسوس على المعقول فطالبوا معاينة الرب بالحس الباصر)(٦٦).

وقد اشار القرآن الكريم الى تأثير المحسوس في الإنسان بشكل عام، وكيف يُكسب الأمور العقلية وضوحاً ورسوخاً في الذهن، واطمئناناً في القلب، ويُوضح منهج الإنسان بالتماسه المحسوس والسعي في تحصيله، الذي يمثل حقاً من حقوقه

المشروعة ولكن بحدود ما يُثبت الحق ويدحض الباطل، حتى وان كان ذلك الطلب لنبي مرسل من أنبياء أولي العزم، كنبي الله ابراهيم الخليل × عندما خاطب رب العالمين في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾ (٦٧)، ذكر تعالى ما أراه إبراهيم عيانا من إحياء الموتى واختلف في سبب سؤال إبراهيم هذا على وجوه، أقواها أنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالما به من جهة الاستدلال و البرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان، كأنه قال لأعاين ذلك و يسكن قلبي إلى علم العيان بعد علم الاستدلال(٦٨)، لذلك فأنّ (الاستدلالات العملية والمنطقية قد تؤدّي إلى اليقين ولكنها لا تؤدّي إلى اطمئنان القلب، إنّها ترضي العقل لا القلب ولا العواطف، إنّ ما يستطيع أن يرضي الطرفين هو الشهود العيني والمشاهد الحسيّة)(٦٩)، وذلك أن ميل النفس الى الحسيات أتم منه على العقليات، وزيادة ميلها إليها دون غيرها من العقليات، لزيادة تعلقها بها بسبب تجريدها إياها بقوة العقل ونظمها لها في سلك ما عداها ولزيادة إلفها بها أيضا لكثرة تأديها إليها من أجل كثرة طرقه وهي الحواس المختلفة المؤدية لها، وأما ما يقال من أن إلف النفس مع الحسيات أتم منه مع العقليات لتقدم إدراك الحس على إدراك العقل(٧٠).

وقد استشهد عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) بالآية السابقة ليقرر: (ان المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر)(٧١)، وقد صور قدرة الحس والمشاهدة على ترسيخ المعنى وتثبيته في النفس بقوله: (أن أُنس النفوس موقوف على ان تخرجها من خفي الى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنّى، وان تردها في الشيء تعلمها اياه الى شيء آخر هي بشأنه اعلم، وثقتها به في المعرفة احكم نحو ان تنقلها عن العقل الى الاحساس، وعما يعلم بالفكر الى ما يعلم بالاضطرار والطبع لان العلم المستفاد من طرق الحواس او المركوز فيها من جهة الطبع، وعلى حد الضرورة

يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا: ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين)(٧٢).

فتبين أن هناك عُلقةً وميلاً بين الإنسان والمحسوس، ولكن مِن الناس مَن يُريد إحقاق الحق بذلك الميل، ومنهم من يتمسك بالمحسوس بإفراط، فيصبح الإنسان في بعض الأحيان ليس بأمكانه أن يفكّر أو يؤمن بشيء سوى المحسوسات لديه، ولهذا يتوقّع أن يكون لله عز وجل وجوداً حسّي فينظرُ إليه بعينه ويلمسه بيده، ولعل نتيجة التمسك المفرط بالمحسوس أدى الى عبادة الأصنام.

وقد أستمر هذا المنهج في طلب المحسوس لإثبات دعوى الحق، الى أن جاء خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ، بالرسالة الخاتمة، المُتمثلة بإنزال القرآن العظيم عليه، وكانت طلبات قومه مفرطة، لأنهم لم يُعملوا عقولهم فيما دُعوا إليه من الإيمان واعتمدوا على حواسهم فقط (لأن إدراك الإنسان الجاهل لا يتعدّى حواسه)(٧٣)، وأفتروا على النبي بعدة افتراءات، وطلبوا منه أن يأتي بما جاء به المرسلون من قبل؛ قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾ (٧٤)، فالقرآن الكريم يشير إلى ذرائع المشركين، التي تُثبت أنَّ مواقف هؤلاء بإزاء شريعة الرّسول ﷺ، وهو موقف المقاطعة وعدم التصديق بأن رسالته خاتمة الرسائل السماوية وأنها ستبقى الى آخر الدهر.

وإن هذه الشريعة لما كانت باقية على وجه الدهر غير معرضة للنسخ، وكانت العقليات باقية غير مبتذلة، جعل أكثر معجزاتها مثلها باقية، وما أتى به النبي ﷺ من معجزاته الحسية، كتسبيح الحصا في يده، ومكالمة الذئب له، ومجيء الشجرة إليه، فقد حواها وأحصاها أصحابه، وأما العقليات: فمن تفكر فيما أورده ﷺ من الحكم التي قصرت عن بعضها أفهام حكماء الأمم بأوجز عبارة، ومما خصه الله تعالى به من المعجزات القرآن: وهو آية حسية عقلية صامتة ناطقة باقية على الدهر مبثوثة في الأرض(٧٥).

فمعجزة الاسلام الخالدة هي القرآن الكريم، وقد شكك ذلك المجتمع بهذه الدعوى، وعلى رأسهم اليهود الذين كانوا قليلي الأدراك والفهم، واعتادوا على

التمسك بالمحسوس، حتى أن الله عزوجل جعل(أكثر معجزات بني إسرائيل حسياً لبلادتهم، وقلة بصيرتهم)(٧٦)، وشككوا بأن يكون ذلك من عند الله جل وعلا، فطلبوا من النبي ، أن يُنزِل عليهم كتاباً من السماء جملةً، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٧٧)، وجاء في سبب نزول هذه الآية أنها (نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ، إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأْتِنَا بِالْكِتَابِ جُمْلَةً مِنَ السَّمَاءِ كَمَا أَتَى بِهِ مُوسَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ)(٧٨).

فكانت طلباتهم مقصورة على الجانب المادي فقط،، والقرآن الكريم يُخبر بأن هؤلاء القوم قد قضى عليهم عنادهم، ولو تحقق كل ما طلبوا لم يؤمنوا، ولتمسكوا بالذرائع، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٧٩)، فذكر القرآن الكريم، أنهم استخدموا أفضل أدوات الحس وما كانت تجدي معهم نفعاً لأن (الرُّؤْيَةُ وَاللَّمْسُ أَقْوَى الْيَقِينِيَّاتِ الْحِسِّيَّةِ وَأَبْعَدُهَا عَنِ الْخِدَاعِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا اجْتَمَعَا، وَالثِّقَةُ بِاللَّمْسِ أَقْوَى لِأَنَّ الْبَصَرَ قَدْ يُخْدَعُ بِالتَّخَيُّلِ... وَلَكِنَّ مُكَابَرَةَ الْحِسِّ بَعْدَ اجْتِمَاعِ أَقْوَى إِدْرَاكَيْهِ وَهُمَا الرُّؤْيَةُ وَاللَّمْسُ وَتَقْوِيَةُ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ قَلَّمَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ جَاحِدٍ مُعَانِدٍ مُسْتَكْبِرٍ، أَوْ مِنْ مُقَلِّدٍ أَعْمَى لَا تَتَوَجَّهُ نَفْسُهُ إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ يُخَالِفُ مَا تَقَلَّدَهُ مِنْ آبَائِهِ وَقَوْمِهِ)(٨٠).

لذا كان القرآن الكريم مُلماً بكل هذه التداعيات والنزعات الحسية للإنسان، وأعطاها الأهمية البالغة، ليُسقط ما في أيدي المنكرين للغيب، ويسد عليهم باب ذريعة الحسية التي كانوا يرفضون بها الإيمان، والتي كان الكافرون يشددون على طلب ما هو محسوس، ويعتقدون أن إيمانهم متوقف عليها، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (٨١)، وقد نزّل الله كثيرا من الآيات الحسّية كهذه الآيات التي يقترحونها، ولكن كثيرا من الناس كفر بها، وخادع حواسه وخان عقله فيها، ولو تحقق كل ما اقترحوا ما زاد في إيمانهم شيء، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٨٢)، وكان الجواب من الله عز وجل بتكذيب الكافرين، فانهم مع طلبهم للمعجزة الحسية، إلا أن كثير منهم غير صادقين فيما طلبوا، وباقين على عنادهم بمغالطة انفسهم، الى درجة انهم لا يقبلون الحق أبداً.

فنصل الى أن اعتماد الانسان على المحسوس أمر طبيعي، لعلاقة العلم بشكل عام بما يُدرك بالحواس (ومعلومٌ أن العلم الأوّل أتى النفسَ أوّلاً من طريق الحواسّ والطباع، ثم من جهة النظر والرَّويَّة، فهو إذَنْ أمسُّ بها رَحماً، وأقوى لديها ذِمَماً، وأقدم لها صُحْبة، وكدُ عندها حُرمة، إذْ نقلتَها في الشيء بمَثَله عن المُدرَك بالعقل المحض وبالفكرة في القلب، إلى ما يُدرَك بالحواسّ أو يُعلَم بالطَّبع)(٨٣)، لذلك نجد أن الامور المحسوسة مبثوثة في القرآن الكريم بشكل كبير، من خلال إخباره عن أحوال الماضين، وما تضمن من موضوعات سواءا كانت كلية أم جزئية، وهذا ما هو واضح في ذكر العبادات والمعاملات كالصلاة والصيام والحج والجهاد وسائر الشعائر الدينية.. الخ وكلها عمليات تدرك بالحواس، التي تمثل مظاهر الدين، وهي سببًا رئيسيًا للهداية وحفظِ الدين، وحتى الكمالات التي يصل اليها الإنسان لا يمكنه ان يصل اليها ما لم تشترك الجوانب الحسية فيها.

المطلب الثاني

التعبير بالترغيب والترهيب الحسي عن الغيبيات

بما أن الإنسان لابد له من أن يمر بعالم الشهادة وعالم الغيب، فعليه أن يكون على بينة منهما، ولابد ليتسنى له معرفة عالم الغيب - وهو فوق قدرته الإدراكية بطبيعة الحال - ليعلم الفرق بين العالَمين، من حياة في أمد قصير زائل، وحياة باقية في

الخلود، ومن لذة وألم سينتهيان بنهاية بقاء الإنسان في هذا العالم، ولذة وألم يدومان، ولا انقطاع لهما باقيان ببقاء الله سبحانه وتعالى، فإذا علم ذلك كله، علم الغاية من وجوده في هذه الحياة.

ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم قد استعمل كثيراً المشاهدة الحسية للتعبير عن مسائل مجردة، حتى اننا نجده يعبر عن أهم تلك المسائل المجردة، وهي مسألة التوحيد، كما في آيات صفات الله سبحانه وتعالى- وليس في مسألة التوحيد فحسب - بل في مسألة المعاد، أي ثانِ أهم مسألة غيبية في الاسلام أيضاً، فقد صوّر صوراً من المعاد بالطبيعة المشهودة لدى الإنسان، وكذلك كان أثبات نبوة الأنبياء بالمعاجز الحسية، والقرآن الكريم دعانا الى مشاهدة ما خلّفَ الظالمون من أثار ومُدن خَربة للاعتبار بقصصهم، (فقد كان حضور الصورة الحسية كبيرا فيه، لاسيما تلك التي وردت مبينة أحوال الامم السالفة، آخذة بنظر الاعتبار ذهنية الإنسان التي عولت على رؤية البراهين حسيًا)(٨٤)، وكذلك أعتنى القرآن الكريم بتصوير نعيم الدنيا والآخرة وعذابهما، وصورهما تصويراً حسياً (لان الخطاب القرآني يراعي مقتضى حال السامع فتتكون وظيفة نفعية لدى المتلقي ترتقي به الى مستوى المشاهدة، وهذا ما يتوخى من استعمال الاداء البياني فهو يقرب الصورة من ذهن المتلقي محسوسة مرئية مسموعة)(٨٥).

والذي يبدو (أن المنهج القرآني قد أستخدم في ابراز المعاني وتشخيصها، عناصر البيئة المُحسة، ليتنبه العقل البشري إلى منافذه الكاشفة لتلك الحقائق، أنما هي الحواس)(٨٦)، وليس المقصود بالبيئة، هي البيئة العربية وقت نزول القرآن فقط، فالقرآن الكريم لم يستغلق فهمه على العرب الذين نزل بين ظهرانيهم خاصة، إنما جاء مراعياً لطبيعة النفس الإنسانية بشكل عام في كل زمان ومكان.

فكان القرآن الكريم قد أنتهج منهج التعبير بالمحسوسات، وبه تتم البرهنة على عظمة وجود الله تعالى بطريق عالم الحس، وكذلك إثبات قدرته سبحانه على خلق عالم الغيب، وقيام الساعة، وما يكون عليه مصير الإنسان في الآخرة من نعيم أو عذاب، ومن أَجل إِدراك هذه المعادلة الصعبة في عقل الإنسان بين عالمين أحدهما

مرئي والآخر غيبي، انتج لنا الخطاب القرآني فيضا كبيرا من التعبير الحسي عن المعنويات، التي تصور للإنسان حقيقة هذين العالمين، (فَالْإِنْسَانُ رُوحٌ وَجَسَدٌ، وَكَمَالُهُ بِحُصُولِ لَذَّاتِهِ الرُّوحِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ جَمِيعًا وَلَا تَنَافِي بَيْنَهُمَا، وَلَوْ كَانَ رُوحَانِيًّا مَحْضًا لَكَانَ مَلَكًا أَوْ شَيْطَانًا وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانًا)(٨٧)، فتدفع بالنفس الإنسانية ترغيبا وترهيبا إلى الايمان والطاعة ونبذ الكفر والمعصية، ولعل من أسباب ميل الإنسان الى الترغيب والترهيب الحسي هو إنَّ (الْأَرْوَاحَ لَمَّا تَعَلَّقَتْ بِالْأَجْسَادِ كَانَ ذَلِكَ التَّعَلُّقُ بِسَبَبِ عِشْقٍ طَبِيعِيٍّ وَجَبَ لِلرُّوحِ عَلَى الْجَسَدِ، ثُمَّ إِنَّ جَوْهَرَ الرُّوحِ الْتَذَّ بِمُشْتَهَيَاتِ هَذَا الْعَالَمِ الْجَسَدَانِيِّ وَطَيِّبَاتِهِ بِوَاسِطَةِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَتَمَرَّنَ عَلَى ذَلِكَ وَأَلِفَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَاعْتَادَهَا)(٨٨).

وقد استعمل القرآن الكريم وسائل مُتعددة، تبعاً لتعدد حالات النفس الانسانية، ومن بين تلك الوسائل المؤثرة في النفس التعبير الحسي للترغيب والترهيب، لأنه من أروع طرق التربية النفسية وأفضلها، لأن النفس بطبيعتها تتطلع الى ما يحقق لها السعادة وتخشى مما فيه الشقاء والتعاسة، (والله الذي خلق البشر، أعلم بمن خلق، وأعرف بما يؤثر في قلوبهم، وما يصلح لتربيتهم، ثم ما يصلح لنعيمهم ولعذابهم، والبشر صنوف، والنفوس ألوان، والطبائع شتى، تلتقي كلها في فطرة الإنسان، ثم تختلف وتتنوع بحسب كل إنسان، ومن ثم فصل الله ألوان النعيم والعذاب، وصنوف المتاع والآلام، وفق علمه المطلق بالعباد..)(٨٩).

ولا يمكن للنفس ان تتأثر بشيء إلا من خلال ما ادركته بواسطة الحواس من قبل، اذ يستحيل ان تعرف ما هو نافع وما هو ضار الا من الخبرة المتراكمة فيها، فالطفل يلمس الجسم الحار وهو لا يعلم مدى خطورته عليه، إلا انه بمجرد ان يعي ذلك تراه لا يعاود الفعل.

لذا كانت (اللَّذَّاتُ الْحَاصِلَةُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْعَاجِلَةِ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: اللَّذَّاتُ الْحِسِّيَّةُ وَالثَّانِي: اللَّذَّاتُ الْخَيَالِيَّةُ، وَهِيَ لَذَّةُ الرِّيَاسَةِ، وَفِي كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ الإنسان إذا لم يمكن يُمَارِسَ تَحْصِيلَ تِلْكَ اللَّذَّاتِ وَلَمْ يُزَاوِلْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ شُعُورٌ بِهَا، وَإِذَا كَانَ عَدِيمَ الشُّعُورِ بِهَا كَانَ قَلِيلَ الرَّغْبَةِ فِيهَا، ثُمَّ إِذَا مَارَسَهَا وَوَقَفَ

عَلَيْهَا الْتَذَّ بِهَا، وَإِذَا حَصَلَ الالْتِذَاذُ بِهَا قَوِيَتْ رَغْبَتُهُ فِيهَا، وَكُلَّمَا اجْتَهَدَ الْإِنْسَانُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَقَامٍ آخَرَ فِي تَحْصِيلِ اللَّذَّاتِ وَالطَّيِّبَاتِ وَصَلَ فِي شِدَّةِ الرَّغْبَةِ وَقُوَّةِ الْحِرْصِ إِلَى مَقَامٍ آخَرَ أَعْلَى مِمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ)(٩٠).

فالإنسان إنما يرغب بما أدركته حواسه، وعرف حقيقته حتى مالت إليه نفسه واستهوته، وكذلك إنما يرهب مما خافت ونفرت منه نفسه بعد معرفة آلامه، فالترغيب والترهيب المذكور في القرآن الكريم، يعتمد اعتماداً كبيراً على التصوير الحسي الوارد في القرآن الكريم، ومع عدم إمكانية تصّور الترغيب والترهيب في الحياة الآخرة بكل حذافيره، إلا انه يمكن أن يكون بالقياس على ما في الحياة الدنيا مع الفارق، وتوضيح ذلك؛ لو أراد شخصاً ما أن يصف طعم فاكهة مُعينة، في بلد معين لم يصل إليه السامع، فانه سيستعين بما قد طعمه ذلك السامع من قبل، ويُشبهه به، فتحصل لدى المُتلقي معرفة جزئية لذلك الطعم ولو بنسبة محدودة، ويكون تأثير ذلك التصوير وانعكاسه على نفس المُتلقي بادياً.

ومن المعلوم (إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَبْعُوثُونَ إِلَى كَافَّةِ الْخَلَائِقِ لِإِرْشَادِهِمْ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَتَكْمِيلِ نُفُوسِهِمْ بِحَسَبِ الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ وَتَبْقِيَةِ النِّظَامِ الْمُفْضِي إِلَى صَلَاحِ الْكُلِّ، وَذَلِكَ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالْبِشَارَةِ بِمَا يَعْتَقِدُونَهُ لَذَّةً وَكَمَالًا، وَالْإِنْذَارِ عَمَّا يَعْتَقِدُونَهُ أَلَمًا وَنُقْصَانًا، وَأَكْثَرُهُمْ عَوَامُّ تَقْصُرُ عُقُولُهُمْ عَنْ فَهْمِ الْكَمَالَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَاللَّذَّاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَتَقْتَصِرُ عَلَى مَا أَلِفُوهُ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالْآلَامِ الْحِسِّيَّةِ، وَعَرِفُوهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالنُّقْصَانَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، فَوَجَبَ أَنْ تُخَاطِبَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِمَا هُوَ مِثَالٌ لِلْمَعَادِ الْحَقِيقِيِّ تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا)(٩١).

وهنا يتضح الإعجاز القرآني في التأثير بالنفس الإنسانية، من خلال التعبير الحسي للترغيب والترهيب الوارد في الحياة الآخرة، مع ما بين العالَمين من اختلاف شاسع، بالكليات والجزئيات، فيصل الإنسان الى معرفة ذلك العالم وما فيه من محبوب ومكروه، فيرغب بما أحب ويجتنب ما كَره، لذا فما جاء في القرآن الكريم مُثيراً للنفس ومُحركاً فيها العاطفة والوجدان، يكون تالياً لما أدركته الحواس، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الترغيب والترهيب الحسي، هو من قبيل التأثير النفسي الحاصل لدى المُتلقي، عبر ما أدركه حسياً.

الخاتمة

بعد إن انتهينا من دراسة البحث، نجد من المفيد أن نجمل أهم النتائج التي وصل إليها البحث:

- بيان بعض الأمور المُرتبطة بالحواس وعلاقتها بتحصيل المعارف الأولية، وفق النظريات القديمة والحديثة، وبيان أصحها.
- أطل البحث على مصادر المعرفة الرئيسة في ضوء منظوري الفلسفة والإسلام، وبيان ما تميزت به مصادر المعرفة الإسلامية من خلال الوحي وعلاقته بالعقل والحواس.
- بيان كيفية حدوث عملية الأدراك الحسي، بمشاركة العقل للحواس الخمس التي تكون ذات اتصال مباشر به وبالواقع؛ كما ذكرهما القرآن الكريم معاً، كونهما يُكمل أحدهما عمل الآخر .
- الإشارة إلى بعض الدراسات التي بينت أن هناك ما يؤثر في صحة عمل الحواس أو بالعكس، وهو تأثير الدوافع والقيم في الادراك الحسي، كما ذكر ذلك القرآن الكريم من قبل.
- نجد القرآن الكريم حدد نظرية المعرفة مُثيراً في الإنسان كوامن الفطرة، كما هي طبيعة الخطاب القرآني الذي يعتمد على حقيقة فطرة الإنسان.
- يُبين البحث العلاقة الوثيقة بين الإنسان والمحسوس، وكيف تُكسِب الأمور العقلية وضوحاً ورسوخاً في الذهن، واطمئناناً في القلب، غلى مر العصور.
- أستعمل القرآن الكريم التعبير بالمحسوسات عن مسائل مجردة مُتخذاً منها سبيلاً للترغيب والترهيب، معتمداً في ذلك على ما ادركته الحواس من قبل.
- أتضح الإعجاز القرآني في التأثير بالنفس الإنسانية، من خلال التعبير الحسي للترغيب والترهيب القرآني، الوارد في الحياة الآخرة، مع ما بين العالَمين من اختلاف شاسع، فيصل الإنسان الى معرفة ذلك العالم وما فيه من محبوب ومكروه، فيرغب بما أحب ويجتنب ما كَرِه.

- الترغيب والترهيب الحسي الحاصل في الحياة الآخرة، يعتمد اعتماداً كبيراً على عملية التصوير الحسي، وبالرغم من عدم إمكانية تصّويره بكل حذافيره، إلا انه يمكن أن يكون بالقياس على ما في الحياة الدنيا مع الفارق.

Abstract

The senses and its influences in the quarinc of cajole and intimidationPraise be to Allah and peace and blessings be upon our Master Muhammad and his Purified Family Progeny too …

The research represents the explain the senses and its influences in the knowledge of cajole and intimidation (sensory) and its relation getting in the visions of philosophy and Islam and the nature of process of mind sensory between the mind and five sensors to get a high delrolpmet (ideal) therefore ancient people said (who lose sense lose science) and the view of holy Quran to the knowledge .

The research shows the relation between human and sense and the stat the mental things with sensory , like the miracles of prophets (sensory) the expression of Quran used the sensory in abstract thing . the soul influences in what did knew by the nature of human being desires in what he knows and versus versa .

هوامش البحث

(١) ظ: الصدر، فلسفتنا: ٥١.

(٢) ظ: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ٢ / ٩٣٢.

(٣) الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن:٥٦٠-٥٦١.

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ٢ / ٩٣٢.

(٥) ظ: الصدر، فلسفتنا: ٥٢-٥٣.

(٦) ظ: م، ن: ٥٣- ٦١.

(٧) ظ: الشيرازي، نفحات القرآن: ١ / ٢٢٨.

(٨) ظ: السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: ١٥.

(٩) محمد رشيد رضا، تفسير المنار:٩ / ١٤٤.

(١٠) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٢ / ٣١٢.

(١١) العلق/١ – ٥.

(١٢) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ٣٢ / ٢١٨.

(١٣) طه/١١٤.

(١٤) الزمخشري، تفسير الكشاف: ٣ / ٩٠.

(١٥) الشيرازي، تفسير الأمثل: ٢٠ / ١٩٣ .

(١٦) الكليني، الكافي: ١ / ٣١.

(١٧) النحل/ ٧٨.

(١٨) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن : ٦ / ٤١١، ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٦ / ١٨٤.

(١٩) ظ: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٥٠.

(٢٠) الشيرازي، تفسير الأمثل: ٨ / ٢٠٣.

(٢١) الحلي، نهج الحق وكشف الصدق: ٤٠.

(٢٢) ظ: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٦٩.

(٢٣) ظ: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٧٤١.

(٢٤) الاسراء/ ٣٦.

(٢٥) ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان: ١٣ / ٩٥.

(٢٦) نجاتي، القرآن وعلم النفس: ١٢٥.

(٢٧) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ٢٣ / ٣٨٢.

(٢٨) م: ن: ١٥ / ٤١١.

(٢٩) الشيرازي، تفسير الأمثل: ١٠ / ٣٣٩.

(٣٠) الاعراف/ ١٧٩.

(٣١) طه/ ١٢٨.

(٣٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار:٩ / ٣٥١.

(٣٣) ظ: نجاتي، القرآن وعلم النفس: ١٣٣.

(٣٤) الروم/٥٢-٥٣.

(٣٥) الزمر/٢٣.

(٣٦) فصلت/٤٤.

(٣٧) ظ: الشيرازي، تفسير الأمثل: ١ / ٦٨.

(٣٨) الفرقان/ ٤٤.

(٣٩) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٨ / ٣٣٦.

(٤٠) م ، ن: ٨ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٤١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار:٩ / ٣٥٧.

(٤٢) الأنفال/ ٢١ – ٢٣.

(٤٣) الزمخشري: تفسير الكشاف:٢ / ١٧٩.

(٤٤) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: ٩/ ٣٠٥.

(٤٥) التوبة/ ٦.

(٤٦) الجن/ ١- ٢.

(٤٧) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ١ / ٤٧٨.

(٤٨) فصلت/ ٢٦.

(٤٩) الحلي، نهج الحق وكشف الصدق: ٤٠.

(٥٠) نجاتي، القرآن وعلم النفس: ٢٢١.

(٥١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ٩ / ١٤٣.

(٥٢) ظ: الطباطبائي، أسس الفَلسفَة وَالمذهَبْ الوَاقعي: ١/١١٠ .

(٥٣) ظ: الطباطبائي، أسس الفلسفة: ١/٢٢١ـ ٢٢٢.

(٥٤) نجاتي، القرآن وعلم النفس: ١٢٩.

(٥٥) م، ن: ١٢٩.

(٥٦) يوسف/٩٤.

(٥٧) آل عمران/٤٩.

(٥٨) ظ: نجاتي، القرآن وعلم النفس: ١٣٠.

(٥٩) النمل/ ١٨-١٩.

(٦٠) محمد رشيد رضا، تفسير المنار:٩ / ٣٥٨-٣٥٩.

(٦١) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب:٢٦ / ٣٨٥.

(٦٢) يس/١٥.

(٦٣) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني: ٤٣-٤٤.

(٦٤) الشيرازي، تفسير الأمثل: ١ / ١٧٠.

(٦٥) البقرة/٥٥.

(٦٦) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٢٠١.

(٦٧) البقرة/ ٢٦٠.

(٦٨) ظ: الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ٢ / ١٧٧.

(٦٩) الشيرازي، تفسير الأمثل: ٢ / ٢٨٣.

(٧٠) ظ: السكاكي، مفتاح العلوم: ٣٥٠.

(٧١) الجرجاني، اسرار البلاغة: ١٢٦.

(٧٢) الجرجاني، اسرار البلاغة: ١٢١.

(٧٣) الشيرازي، تفسير الأمثل: ١ / ١٩٤.

(٧٤) الأنبياء/ ٥.

(٧٥) ظ: الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني: ٤٣.

(٧٦) الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني: ٤٣.

(٧٧) النساء/١٥٣.

(٧٨) الواحدي، أسباب نزول القرآن: ١٨٧.

(٧٩) الأنعام/ ٧.

(٨٠) محمد رشيد رضا، تفسير المنار:٧ / ٢٦٠.

(٨١) الأسراء/٩١-٩٣.

(٨٢) الحجر/١٤- ١٥.

(٨٣) الجرجاني، اسرار البلاغة: ١٢٢.

(٨٤) عنوز، دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني: ١٧.

(٨٥) عنوز الاداء البياني في لغة القرآن الكريم: ٢٠-٢١.

(٨٦) الفورتيه، القرآن أصل التربية وعلم النفس: ٣٢-٣٣.

(٨٧) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ٨ / ٤٢٣.

(٨٨) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ١٧ / ٢٦٨.

(٨٩) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٦ / ٣٢٩١.

(٩٠) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ١ / ٧٣.

(٩١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ٨ / ٤٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة ، د ط ، د ت .

٢. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٣. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد علي(ت٨١٦هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د ط، د ت.

٤. الحلي، جمال الدين أبو منصور، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد ابن المطهر(ت٧٣٦هـ)، نهج الحق وكشف الصدق، تح: السيد رضا الصدر، تعليق: الشيخ عين الله الحسني الأرموي، دار الهجرة – قم، د ط ، ذي الحجة ١٤٢١هـ.

٥. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب او التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٦. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)،تفسير الراغب الأصفهاني، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)،مفردات غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٨. الزمخشري، ابو القاسم، جار الله محمود بن عمرو بن احمد(ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٩. السبحاني، جعفر محمد حسين، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت نقله الى العربية، جعفر الهادي، مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام)، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٠. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي(ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١١. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

❖ الشيرازي، ناصر مكارم (معاصر)؛

١٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المُنّزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٣. نفحات القرآن ـ أسلوب جديد للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مؤسسة أبي صالح للنشر والثقافة، د ط، د ت.
١٤. الصدر، السيد الشهيد محمد باقر(ت١٤٠٠هـ)، فلسفتنا، دار الكتاب الإسلامي، ط٣ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
١٥. الطاهر، محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، د ط، ١٩٨٤م.
❖ الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)؛
١٦. أسس الفَلسفَة وَالمذهَبْ الواَقعي، تعليق: مرتضى المطهري، تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف، بيروت ـ لبنان، ط٢ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٧. الميزان في تفسير القران، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٨. الطبرسي، ابو علي، امين الاسلام الفضل بن الحسن(ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، تح: لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٩. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠ ه)، التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب قصير العاملي، د ط، د ت.
٢٠. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القران، بيدار، قم، ط٤، ١٣٨١هـ ش.
❖ عنوز، الأستاذ الدكتور صباح عباس،
٢١. الأداء البياني في القرآن الكريم ـ بين النظرية والتطبيق-، التميمي للنشر والتوزيع، النجف الأشرف، ط١ ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
٢٢. دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني، العتبة الحسينية المقدسة – كربلاء، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م.
٢٣. الفورتيه، أحمد جهان، القرآن أصل التربية وعلم النفس، دار الملتقى للطباعة والنشر، ليماسول- قبرص، ط١، ١٩٩٤م.
٢٤. الكليني، ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي، (ت٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية – طهران، ط٣، ١٣٦٧هـ ش.

٢٥. محمد رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني(ت١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم، المعروف بـ(تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠ م.
٢٦. نجاتي، الدكتور. محمود عثمان، أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة وجامعة الكويت، القرآن وعلم النفس، دار الشروق- القاهرة، ط٧، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٧. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، النيسابوري الشافعي(ت٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.